

يعد ساسون حسقيل أحد أهم أعمدة الدولة العراقية منذ تأسيسها عام ١٩٢١، وكان مؤمناً بإمكانية صهر جميع الطوائف والأقليات في بوتقة الوطن واعتبارها شعبا عراقيا واحدأ، وكما قال الملك فيصل الأول، الدين لله والوطن للجميع. وينتمي ساسون إلى عائلة يهودية بغدادية برزت واشتهرت بالتجارة، كان والده من رجال الدين المتفقهين في الشريعة الموسوية..ولد ساسون ي بغداد عام ۱۸٦٠ ودرس يخ مدرسة الاليانس، ثم ذهب إلى اسطنبول للدراسة عام ١٨٧٧... عين ترجماناً لولاية بغداد بعد عودته إلى بغداد عام ١٨٨٥ وانتخب نائباً في مجلس النواب التركي الأول عام ١٩٠٨، ويعتبر ساسون احد الأعضاء الثمانية في أول حكومة قام بتعيينها السير برسي كوكس (المندوب السامي البريطاني).

بغداد/نسوراخالسد

تصوير / ادهم يوسف



"تيموشينكو" وحُجَّاج العهد الجديد

العمود الثامن 0

مثل غيري من ملايين العراقيين المغلوبين على أمرهم تحسرت على حالنا وأنا اقرأ الضبر الذي بثته وكالات الأنباء والذي جاء فيه إن القضاء الأوكراني بدأ محاكمة رئيسة الوزراء السابقة يوليا تيموشينكو التي كانت من قادة "الثورة البرتقالية" بتهمة استغلال السلطة، خبر تقديمها للمحاكمة تلقته "تيموشينكو" بابتسامة وهي تخرج على الملاً لتقول إنها حريصة على احترام إرادة القضاء، ولم تسارع إلى طلب النجدة من دول الجوار او تلقي على الناس البيان رقم واحد، فيما اكد رئيس القضاء ان المنهج الذي يجب ان يسود هو منهج محاسبة الجميع وبدون مفاضلة، طبعا الهدف وراء ذلك كله هو أن يشعر الناس أن اوكرانيا تسير في الطريق الصحيح وان سياسة حكامها تصب في خدمة الازدهار والتطور والاهم خدمة المواطنين جميعا، وان المسؤول عليه أن يتصرف بمسؤولية كاملة حتى مع الأزمات البسيطة، المعارضة الأوكرانية من جانبها نظمت مسيرات حاشدة في العاصمة كييف تأييداً لرئيسة الوزراء السابقة، دون ان يخرج الناطق الرسمي لقيادة عمليات أوكرانيا ويتهم المتظاهرين بأنهم مروّرون وخونة، ودونَ أن تخطف سيارات الحكومة شباب التظاهرات وتجلدهم في أقبية سرية يشــرف عليها احد "الحَجاج"-جمع حجّي-، ولم تنقل لنا الفضائيات منظراً لمسؤولين يتلصصون على التظاهرات من فوق بنايات شاهقة تيمنا بما فعله الحاج كمال الساعدي، ولم يخرج الحاج "أبو أزاروف" رئيس وزراء أوكرانيا ليندد بالقوى السياسية التي تقف وراء المتظاهرين.

قد يكون الواقع في أوكرانيا مختلفاً، وهناك فروق كثيرة بيننا وبينهم في مجالات مختلفة ليس هذا مكان مناقشتها، ورغم هذا الاختلاف، فالمؤكد أن كثيرا من العراقيين يشعرون بالحسرة وهم يشاهدون كل يوم أمما وشعوبا كثيرة تتحرك لتعديل أوضاعها، أو تصحيح بعض الأخطاء في مسيرتها وتجربة كل ما هو جديد.

ما يفرقنا عن أوكرانيا وأمم كثيرة أخرى سبقتنا إلى تصحيح أوضاعها المتردية أنهم يملكون قوى حية وفاعلة للتغيير مقابل موت الحركة السياسية في العراق بسبب لعبة الكراسي التي يتصارع عليها الجميع.

كان العراقيون يأملون بعد سقوط صنم صدام ونهاية حقبة مقيتة من الدكتاتورية بان يكون هناك مشروع وطني واحد، يلتف حوله الجميع ويتجلى في العديد من المسارات، من إصالاح لمنظومة الزراعة والتصنيع إلى الارتقاَّء بمستوى التعليم والنهضة الفُكرية والثقافية التي أصبحتُ حلما من أحلام المستحيل.

اليوم وانا انظر إلى ماوصل اليه حال البلاد تمنيت لو ان ساستنا العراقيون اطلعوا على مذكرات اثنين ممن صنعا تاريخ بلادهم واعني ونستون تشرشل وشارل ديغول فسوف يتبين لهم ما هي فلسفة الحكم الرشيد، فقد كان لـدى الرجلين الفهم الحقيقي لمعنى السياسـة و الشـعور الوطني، و الهم نفسه لإنجاز عمل تاريخي وطريقة الولوج إلى تاريخ البلاد.

ديغول فرنسا يكتب من مكتبه متأمالًا الأفاق الواسعة للمستقبل فيقول حاولت أن أكون متو ازنا، ربما أخطأت، ربما ارتكبت الكثير من الحماقات ولكن في النهاية حاولت أن اعمل"، فيما تشرشل يعيد كتابة التاريخ ليسطر هذه الكلمات "المتعصب هو شخص لا يريد أن يغير رأيه و لا يريد أن يغير الموضوع،،" ولم يذهب الرجلان إلى اعتبار فترة حكمهما هي الأنجح والأفضل مثلما ذهب احد سياسيينا الذي تولى شؤون الحكومة واجتاحت البلاد في عهده اخطر موجة عنف طائفي وقيض له بسبب ذلك أن يكتب مذكرات يطلق فيها على نفسه لقب "النجاشي" تشبها بملك الحبشة وهو ملك لا يظلم عنده احد"، طبعا صاحبنا لم يستدع للمحكمة ولم يتجرأ احد أن يسأله عن أسباب القتل على الهوية التي انتشرت في عهده.

أخطاء كثيرة ارتكبها مسؤولون سابقون وحاليون ولن نسمع أن القضاء تدخل وطالب بمحاسبتهم، الناس اليوم فقدت القدرة على الحلم، لتصبيح المحصلة كما نرى ونعيش، وطنا يأكل بعضه البعض، وغبارا كثيفا يحجب المستقبل عن أبنائه، ورغم كل ذلك لا يزال مسؤولونا الذين أوصلونا إلى هذا المصير مصرين على أنهم أصحاب التغيير، وأنهم الذين أنقذوا الناس من مخالب صدام وعليه يحق لهم أن يسرقوا من المواطئ حريته وكرامته بعد أن سرقوا منه أمنه وحاضره ومستقبله وثرواته.

بعد، بل لا توجد كتلات الحقوق العثمانية وكان يجيد إضافة إلى

بيت المدى يحتفي بواضع العملة الوطنية العراقية

في اسطندول وفينا ويرلين ولندن فكان لهذه

## ساسون حسقيل الوزير الأمثل في تاريخ العراق

الاحتفاليات تذكر الشعب العراقي والجيل

الحديث بهذه الشخصيات الفذة التي لم

تأخذ حقها بالماضي ونأمل أن تكون هذه ٍ

الشخصيات وتاريخها الناصع أنموذجا

للأنظمة الحديثة التي تمارس العمل

السياسي والاقتصادي بشكل رئيسي لبناء

عراق حر ديمقراطي، عندما نحتفي بمثل

هذه الشخصيات فهو احتفاء ليس بشخص

واحد وإنما جيل بأكمله عاش وبني وأسس

الدولة العراقية الحديثة التي نعيش على

بقايا ما خلفته لنا هذه الشخصيات، الشيء

الغريب أنه في تلك الحقبة التي عاشوا فيها

في القرن الماضي وقبله لم تكن هناك وسائل

اتصال حديثة ولا مطابع حديثة وأنجب

مثل هـؤلاء الرمـوز، فكـم تعب مثل هؤلاء

ليجمعوا هذه الثقافة ربما الجواب نجده

بالمكتبات العظيمة التي تركها هؤلاء الرموز

أمثال مكتبة ساسون حسقيل التي صادرتها

الحكومـة العراقيـة عـام ١٩٧٠ ونقلتها إلى

المتحف العراقي ولم تكن هذه المكتبة دينية

أو مختصة بالطائفة الموسوية بل هي

عين أول وزير مالية في حكومة السيد عبد درس في مدرسة الاديسانس وأكمل دراسته الرحمن النقيب وانتخب ساسون لوزارة في اسطنبول وفينا وبراين ولندن فكان لهذه الماليـة في وزارة النقيـب الثانيـة "١٩٢١" والثالثة ووزارة عبد المحسن السعدون الأولى وكذلك في وزارة ياسين الهاشمي. اعتبر ساسون من الشخصيات العراقية المهمة في تاريخ العراق المعاصر، وقد حرص على التقاليد البرلمانية الصحيحة وتطبيق النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي، وقد وصفته المسَّ بيـل بأنه "أقدر رجل في مجلس الوزراء، هو صلب قليلاً وينظر إلى الأمور من وجهة الحقوقي الدستوري دون أن يعطي اعتباراً كَافيـًا لأحوال العراق المتأخرة، ولكنه حر ونزيه إلى أبعد الحدود".

شغل ساسون حسقيل منصب وزير المالية خمس مرات في فترة الحكم الملكسي. ويعد ساسون أشهر وأنزه وزير عراقي في تأريخ الحكومات العراقية المتعاقبة، فكان أول وزير مالية عراقي أسهم بشكل كبير في وضع الأسس الصحيحة لقيام الاقتصاد العراقي وبناء ماليته على وفق نظام دقيق، حاول ساسون قبل وفاته أن يختم حياته بمنجز من منجزاته الكثيرة وحاول وضع خطة دقيقة من أجل إصدار عملة عراقية وطنية، وسعى جاهدا من أجل تحقيق ذلك وبالفعل فقد تم ذلك عام ١٩٣٢م وأصبحت النقود العراقية هي المتداولة بدلا من الروبية الهندية والليرة التركية.

عن ساسون حسقيل، الوزير والشخصية الوطنية، أقام بيت المدى في شيارع المتنبي احتفاليته التي قدمها الإعلامي عباس الغالبي قائلا: نقف اليوم مع واحدة من الشخصَّيات البارزة التي لَها أثر كبير في تاريخ العراق، شخصية بارزة أسهمت وأسست لتاريخ العراق الاقتصادي مطلع القرن العشرين، ساسون حسقيل لم يكن مجرد شخصية بقدر ما كان ظاهرة بارزة في تاريخ العراق الحديث، ساهم في بناء الدولية العراقية الحديثة وعمل طوال سنتي حياته على ترسيخ قيم جديدة في المجتمع وكان مثالا للسياسي الذي ارتبطت حياته بمنجزات كثيرة أهمها إشرافه على السياسة المالية في العراق. بعدها قدم الغالبي أول المتحدثين وكان الدكتور طارق الحمداني أستاذ التاريخ الحديث في كلية التربية ﴿ ابن رشد، الذي قال: اعتبرت أغلب الدراسات أن ساسون حسقيل واحد من عشرة من الشخصيات العراقية التي لها دور واضح في بناء الدولة العراقية ويأتي هذا التكوين لشخصية ساسون حسقيل نتيجة لقيامه بتكوين شخصيته الفكرية والاجتماعية بتناغم مع ما وصل إليه من مكانة في تاريخ العراق المعاصر، عندما نتطلع إلى الخلفيات التي نشاً بها ساسون حسقيل فأننا نلاحظ بأنه منذو لادته سنة ١٨٩٠ والسنوات التالية

السنوات الأثر الكبير في تكوين شخصيته العلمية، وعلى ذلك فليس غريباً أن يكون ساسون حسقيل أحد النواب العراقيين الذي انتخب في مجلس المبعوثان العثمانيين سنة ١٩٠٨ وكَّذلك انتخب للمرة الثانية والثالثة، ونتيجة لمكانته الاقتصادية والعلمية فقد اعتمد عليه في الكثير من اللجان التي كونها مجلس المبعوثان العثماني وهذا ما يتفق مع طبيعة تكوينه الاقتصادي وكذلك شهادة الحقوق التي حصل عليها في در استه ومن هذه اللجان التي ساهم بها لجنة الميزانية العامة وعين فيما بعد للإشسراف على نظارة

التجارة والزراعة، وهذه الممارسات والنشباطات أعطت هنذه الشخصية بعدأ وظيفيا ومكانة ثقافية وعلمية جعلته واحدا من ابرز الشخصيات العراقية في مطلع القرن العشرين، إن هذه الشخصية جذبت اهتمام الملك فيصل والبريطانيين في بداية نشوء الدولة الحديثة وحتى في أثناء تشكيل الحكومة النقيبية فقد اختير ساسون حسقيل وزيراً للمالية وكان هذا الاختيار نتبجة للمكانية والثقافة العالية التي تمتعت بها هذه الشخصية، وأضاف الحمداني: من الأشياء التي جعلت ساسون حسقيل موضع اهتمام الانكليز بذلك الوقت كونه كان عارفا للعديد من اللغات الحية التي جعلته أكثر تواصلاً مع رجال السياسة البريطانيين وكذلك مع الشخصيات الأخرى، أن ساسون حسقيل اختير واحداً من بين اثنين من العراقيين الذين شاركوا في مؤتمر القاهرة عام ١٩٢١، ومؤتمر القاهرة كان ذا أهمية كبيرة ليسم على السياسـة البريطانية فقط وإنما أيضاً فيما يتعلق بمستقبل العراق، كان مؤتمر القاهرة هو الحل لتوحيد السياسة البريطانية خاصة أن بريطانيا خلال حربها على العراق وقيام ثورة العشرين لحقت بها

كان يعرف بها. باسم جميل انطون: امتاز بروح المواطنة والانتماء للعراق، لا للدين والمذهب والطائفة

خسائر كبيرة، لذلك أخذوا يفكرون بالسبل

التي تمكّنهم من تفادي مثل هذه الخسائر

وإحدى تلك المقترحات هو عقد مؤتمر

القاهرة لتقليل نفقات القوات البريطانية

في العراق، واختار البريطانيون ساسون

حسقيل وجعفر العسكري لتمثيل العراق

في هذا المؤتمر لان البريطانيين اطمئنوا

لساسون حسقيل نظراً لمكانته ونزاهته التي

بعدها تحدث الخبير الاقتصادي باسم جميل انطون الذي بدأ حديثه بالقول: مثل هذه



عباس الغالبي مع الدكتور طارق الحمداني

انسكلوبيديا، فقد كان يتكلم سبع لغات

ولغتين أخرى هي اللاتينية واليونانية،

وضمت مكتبته الدين والفقه للأديان الأخرى

وباللغة العربية والتاريخ العربى والجاهلية

والإسلام، كم عظماء هؤلاء الناس وكم نفتقر

اليهم الآن، العراق الآن وبنفوسه الثلاثين

مليون لم يستطع أن ينجب مثل هولاء.

وأضاف انطون: الحديث عن ساسون

حسقيل طويل وكثير وسأتناول بعضس

الجوانب عنه، عاش في ظل عائلة اقتصادية

مالية ثرية وترعرع في بغداد وأكمل دراسته

في اسطنبول ثم إلى برلين ولندن وأكتسب

ثقافة في تلك الفترة وبجهود ذاتية وعاد

إلى العراق وانتخب بأول مجلس ممثل عن

بغداد المبعوثان، وخلال وجوده تخصص

بالمسائل الاقتصادية وأصبح مسؤول

الموازنية عن ولاية بغداد وأصبح فيما بعد

مسؤول الموازنة بمجلس المبعوثان التركى

وتخصص بهذا المجال وأعيد انتخابه على

هذا الأساس لشلاث مرات، لغاية دخول

الإمبراطورية العثمانية الحرب العالمية



الأولى وانهيارها، تبوأ بعدها عدة مراكز

باسم جميل انطون

منها أول وزير مالية في زمن الحكومة الوطنية الجديدة كما تصفها المس بيل بالقول: اختيار رئيس الوزراء شيء ولكن اختيار الوزراء هو الأصعب.

وعندما أصبح وزيراً للمالية أخذ على عاتقه بناء وزارة المالية واسس نظامها وقواعدها ولم تكن هناك تجربة واسعة لبناء وزارات فالدولة العراقية الحديثة أنشيئت على مخلفات ومشاكل ومعوقات اقتصادية كبيرة للإمبراطورية العثمانية التى انسلخت عنها الكثير من الدول ولم تكن هناك مصادر للموازنة كالنفط وغيره، فكانت الرسوم وحاصل الأرض هي المصدر الرئيسي للموازنة ولم تكن واجباته فقط النظر إلى وزارة المالية بحكم ما يمتلكه من ثقافة قانونية، بل على وضع أسس الدولة العراقية وإكمال المؤسسات الأخرى وحتى المجلس التأسيسي كان له دور كبير في وضع قواعده وأنظمته، يمتاز بروح المواطنة والانتماء للعراق، لا للديس والمذهب والطائفة وهسذا الذي بنى العراق وهذه مسألة أساسية في البناء.

## ثامر الهيمص: أول وزير مالية عراقي يواجه

التحديات ثامر الهيمص تحدث عن المحتفى به قائلا: تراكمت خبرات بسيطة في ظل الحكومة العثمانية لولايات بغداد والموصل والبصرة واغلب هذه الخبرات تأثرت كثيرا عند انسحاب العثمانيين بعد ثورة العشرين ودخول الانكليز. وهذه الخبرات غالبا ما تكون في كيفية جباية الضرائب والرسوم كما هو معلوم. وفي ظل أوضاع سياسية واجتماعية بحيث اشتكى الملك فيصل الأول (انه في اعتقادي لا يوجد

رجل الدين المعروف ولكن خسرة وتاريخ الاستاذ معالى الوزير ساسون حسقيل كانت ليست بسيطة إذ كان عضو لجنة الانتخابات في الوزارة المشكلة في ٢٦ / ٧ / ١٩٢٠ مما يعنى انه رقما صعبا في المعادلة السياسية أيضا رغم ان طائفة تشكل نسبة ٢,٦٪ من نفوس العراق أنذاك، وواجه حسقيل تحديات الاتفاقية العراقية البريطانية الاولى والتي بموجبها يدفع العراق ٢٥٪ من وارداته لبريطانيا لقاء خدمات الأمن والدفاع والتي تسمى الأن الاتفاقية الأرضية بالإضافة إلى أن يدفع العراق أقيام ملكية المرافق (الري والطرق والجسور والبرق والتلفون والبريد) مما قىمتە ٥,٤٩,٤٥ مليون روبية، وفي الجانب الأخر تحمل مشكلة رواتب الدرجات الخاصة حيث رئيس الوزراء يأخن سبعة آلاف روبية ووزيس الداخلية ستة آلاف أي ضعف رواتب الوزراء والمستشارين البالغة ثلاثة ألاف، نقول بتواضع إن ساسون حسقيل كان احد رواد الاقتصاد والمالية حيث أسس وانشأ دوائر

بشرية خيالية خالية من أي فكرة وطنية

ومتشعبة وأباطيل دينية لا تجمع بينهم

جامعة)، هذا الحال سياسيا واجتماعيا،

فحتى سنة ١٩٢١ كانت إيرادات الحكومة

أربعة ملايين دينار من الكمارك والرسوم

والضرائب وبعض الموارد الأخرى، ناهيك

عن تداعيات الحرب العالمية وأثرها على

الحكومة البريطانية التي فرضت الانتداب

على العراق مباشرة في تلك الفترة مما

ضاعفت الرسوم والضرائب على كاهل

المواطنين ما يقدر بثلاث مرات عن السابق

ه كانت سيدا أساسيا في أسباب ثورة

استوزر في ٢٥ / ١٠ / ١٩٢٠ في أول

وزارة عراقيّة برئاسة عبد الرحمن الّنقيب

## طارق حرب: ساسون حسقيل الوزير الأمثل

مالية وحسابات وإدارات لازالت تترك

يصماتها على المالية العراقية سواء من

خلال الاتفاقيات أو التنظيم الداخلي لأهم

مرفق في العراق.

وكان آخر المتحدثين قبل فتح باب المداخلات المحامي طارق حرب الذي تحدث عن نشاة المحتفى به قائلا:

هـو ساسـون بـن الحاخـام حسـقيل الذي شيد كنيسا لليهود في بغداد سنة ١٩٠٩ ابن شلومو (سلیمان) بن عزره بن شلومو بن داوود، ولد في بغداد ودرس فيها وفي المدرسة السططانية في العاصمة العثمانية والأكاديمية القنصلية في فينا وبراين ولندن وحصل على شهادة القانون من كلية

اللغة العربية التركية والفارسية والعبرية والانكليزية والفرنسية والألمانية مع إلمام كبير باللغة اللاتينية واليونانية القديمة، كذلك عين (ترجمانا) في بداية عهده وهي من وظائف ولاية بغداد المهمة التي تؤمن الاتصال بالدبلوماسيين الأجانب وانتخب نائبا عن بغداد في مجلس النواب العثماني منذ أول انتخابات حصلت في العراق سنة ١٩٠٨ حتى انسلاخ العراق من الدولة العثمانية سنة ١٩١٨ وكان رئيسا للجنة الموازنة في المجلس، كما انه كان نائبا عن بغداد في مجلس النواب العراقي منذ بداية تشكيله سنة ١٩٢٥ وحتى وفاته سنة ١٩٣٢ حصل على وسام الرافدين العراقي ونيشان المتمايز التركي ووسام شير وخورشيد الإيراني ووسام الإمبراطورية البريطانية بدرجة فارسى ولقب (سير) وكان ساسون محافظا في أرائه وتقاليده وقد حافظ على ارتداء الطربوش التركي حتى وفاته ولم يرتد الفيصلية التي اعتمدها الملك فيصل حتى انه في إحدى الحفلات أمر الملك أن يؤخذ طربوشه ويعطى عند خروجه السدارة بادعاء ضياع الطربوش ولكنه رفض وضع السدارة على رأسه حيث رفض أن يرتديها وإذا كان يلعب (البريدج) في النادي الذي يجتمع فيه مساء كل يوم الوزراء والانكليز وكبار الموظفين ووجهاء القوم فانه لم يحدث أن خسر في اللعبة طوال عدد اللعبات. وكان دوره واضحا في قانون الأحزاب

في العراق لئلاً يلجأ الناس إلى تشكيل الأُحزاب السرية وعلى وفق ذلك صدر هذا القانون الذي أباح تشكيل الأحزاب. ولقد اثبت ساسون حسقيل براعته القانونية والاقتصادية وعقليته الوطنية في المفاوضات مع شركات النفط الأجنبية ذلك انه ألحٌ على إسهام العراق في رأسمال الشركة المستثمرة للنفط ودفع العوائد على أساس الذهب وعندما سأله رئيس الوزراء ياسين الهاشمي؟ كيف تسهم الحكومة في رأسمال الشبركة ولا توجيد أموال ليدى الحكومية لسيداد حصية العيراق فأجابيه ساسون؟ سيدي رئيس الوزراء لا تهتم لهذا الموضوع ذلك أن بإمكان الحكومة العراقية رهن حصة العراق في الأسواق المالية العالمية والحصول على قرض منها وسوف لن نخسر شيئاً فان وفقنا فالحصة حصة

(قانون الجمعيات) لسنة ١٩٢٢ إذ انه

أصر على السماح بإنشاء الحياة السياسية

تذهب للوفاء بالقرض. وبعدها تم فتح باب المداخلات التي أغنيت بعدد من النقاشات والحوارات التي سلط الضوء من خلالها على حياة ومنجز هذه الشخصية الوطنية العراقية.

العراق وان كان الأمر خلاف ذلك فالحصة